

أضواء إسلامية

عليها

بعض الأفكار الخاطئة

تأليف

الشيخ العلامة المحدث

زينع بن هادي عمير المرحلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

مصور لارڻ

اُچي حيدر لار محمد الملقي

الغلام طيني

أضواء إسلامية على بعض
الأفكار الخاطئة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار الإمام البخاري

طريق سلوى - بجوار دوار الغانم الجديد - الدوحة - قطر

فاكس: ٠٠٩٧٤ / ٤٦٨٥٥٨٨

هاتف: ٠٠٩٧٤ / ٤٦٨٤٨٤٨

WWW.albukhari.org

albukhari.@qatar.net.qa

ص.ب: (٢٩٠٠٠)

التوزيع في جميع أنحاء العالم



٦ شارع عزيز فانتوس - منبسته التحرير - جسر السريس - القاهرة

جوال: ٠٠٢ / ٠١٠٦٠١٤٩٧٨

تليفاكس: ٠٠٢٢ / ٦٣٦٥٦٣٨

هاتف: ٠٠٢٢ / ٢٤١٤٢٤٨

yahoo.ComDar_Alemam_Ahmad@E-Mail:

أضواء إسلامية
على
بعض الأفكار الخاطئة

كتبه
الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله،
وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداه.
أما بعد:

فهذا الكتاب النافع أصله محاضرة ألقاها
الشيخ ربيع عام ١٣٩١هـ، في دار الحديث بالمدينة
النبوية بحضور سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ
وتحت إشرافه، حيث كان حينذاك رئيساً للجامعة
الإسلامية بالمدينة النبوية، كما قد حضر عدد كبير من
أساتذة الجامعة الإسلامية وأهل المدينة.

وقد سُرَّ سماحة الشيخ بهذه المحاضرة، فأمر
بطبعها، فطُبعت بمطابع الجامعة الإسلامية عام
١٣٩٢هـ، ونفع الله بها.

كما أنها نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية
في العدد (١٦) في ربيع الثاني سنة (١٣٩٢هـ) في
الصفحة (٣٦ - ٦١).

واليوم يُعاد طبعها لينفع الله بها الإسلام
والمسلمين، نسأل الله أن يحقق ذلك إنه سميع
مجيب الدعاء.

وقد اعتنى بتخريج أحاديثها الأخ الفاضل
أحمد بن يحيى الزهراني، وفقه الله ورعاه،
والحمد لله رب العالمين.

كتبه

خالد بن ضحوي الظفيري

١٤٢٦/١٢/١٥هـ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،
من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي
له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن من أغرب الأمور وأعجبها وأشدّها وقعاً
على قلب كل مؤمن واع، وأشدّها حيرة لعقله،
وأذهبها للبه، ما وقع فيه كثير من المنتسبين
للإسلام من ضلال بعيد في الفكر، وانحراف خطير
في المعتقد، وانحذار فيه إلى مستوى من الجاهلية
لم تبلغه أي جاهلية مضت على مدار التاريخ.
صحيح أن المشركين في كل جاهلية قد

عبدوا الطواغيت والأوثان من دون الله واستكبروا
في الأرض وكذبوا وعاندوهم أشد العناد
والمكابرة.

غير أن احتجاجهم لشركهم وتعصبهم لوثنياتهم
ما كان يتجاوز أن آلهتهم: (تقربهم إلى الله زلفى).
وأن هذا أمر اعتادوه وألفوه وورثوه عن آبائهم، كما
علمنا القرآن وهو أصدق حديث عرفته البشرية:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ
ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا
عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٢ - ٢٣].

﴿وَاتَّبَعُوا عَلَيْهِم نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا
عَنكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ
يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧٤].

فأنت ترى أنهم لا يبالغون ولا يهولون في
تمجيد آلهتهم، ولا يتجاوزون الواقع الذي كان
عليه معبوداتهم من أنها لا تسمع دعاءهم ولا
تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضرراً، كل ما في
الأمر أنهم قلدوا آباءهم في أمر وجدوهم عليه،
وتراث يريدون الحفاظ عليه.

وإذا قرأت تاريخ الجاهلية ترى أن تعلق كثير
منهم بمعبوداتهم فيه ضرب من الاستخفاف،
فالرجل يحمل حجراً معه ليعبده، فإذا وجد حجراً
أجمل منه رمى حجره الأول واتخذ الأخير معبوده
الجديد، ويتخذ الرجل معبوده يصنعه من التمر،
فإذا مسّه الجوع أكله بدون تردد أو وجل.

وكانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين ناسين آلهتهم؛ لأن ثقتهم فيها ضعيفة
متجهين إلى الله الذي بيده النفع والضرر والإنقاذ من
الشدائد.

إن مثل هذا الكلام والأسلوب يزعج كثيراً

من الناس ويشيرهم، وأكثر ما يزعج أولئك الصيادين الذين اتخذوا من سدانة القبور ومن كرامات الأولياء شبكات لاصطياد الأغمار والبُله والمغفلين؛ قارن بين واقع المشركين الأولين الذي قصّه الله علينا وهو أصدق القائلين، وبين عقائد هؤلاء الذين يتتسبون إلى الإسلام.

قارن بين ما تراه من أفعالهم، وما تسمعه من أقوالهم، وما تقرؤه من كتبهم في كرامات الأولياء ومراتبهم من أن هناك أقطاباً وأوتاداً وغوثاً و... إلخ.

وما لهم من خوارق العادات ومن تصرفات في شؤون الكون واطلاع على الغيوب، ترى العقائد الوثنية الأولى أقل جهلاً وغلواً من عقائد هؤلاء المتأخرين، إننا نقول لهؤلاء كما قال تعالى لأهل الكتاب - لأن هؤلاء يزعمون أنهم أهل القرآن -: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ ﴿٧١﴾ [النساء: ١٧١].

ونقول لعلمائهم - إن كان فيهم علماء - :
﴿يَتَّاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ [آل عمران: ٧١].

تعالوا نحتكم إلى القرآن الحكيم الذي ﴿لَا
يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، كما أمرنا الله : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وإلى السنة المطهرة قول الرسول الكريم
الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ولا تكونوا كالذين قال الله فيهم : ﴿أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ [النساء: ٦٥ - ٦٦].

فَإِنْ صَدَدْتُمْ فَاسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وإن كنتم على استعداد للتحاكم إلى الله والرسول كما أمر الله بذلك، فهنا بعض المسائل نحب أن يركز الكلام عليها وأن يدور الحديث حولها، وليس عليكم إلا أن تتحلوا بالإنصاف وتتجردوا من التعصب، وتقبلوا بعقولكم وقلوبكم، وتصغوا بآذانكم بجد إقبال من يريد الحق، وعلى ضوء مناقشة تلك المسائل بالأدلة من الكتاب والسنة سيتبين لكم الحق من الباطل، وإليكم ما نريد مناقشته:

- دعاء غير الله من الموتى والغائبين
والاستغاثة بهم.

- ادعاء أن غير الله يعلم الغيب، سواء
رسول الله ﷺ أو غيره من الأنبياء والأولياء.
- ادعاء أن رسول الله ﷺ ليس بشراً.



المسألة الأولى



دعاء غير الله

نريد أن نعرف حقيقة الدعاء لغة وشرعاً.

قال الجوهرى في الصحاح (٢٣٣٧/٦):
(دعوت فلاناً: صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه).

وقال الفيروزآبادي في القاموس (٣٥٨/٤):
(الدعاء: الرغبة إلى الله).

وقال الفيومى في المصباح (١٩٤):
(دعوت الله أدعوه دعاء: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً: ناديته وطلبت إقباله).

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٧/١١):
(والدعاء: الطلب، والدعاء إلى الشيء: الحث

على فعله، ودعوت فلاناً: سألته ودعوته استغثته).
فالدعاء إذا استدعاء ورغبة ونداء وابتهاال
بالسؤال واستغاثة، والذي يدعو الله راغب إليه
ومنادٍ له ومبتهل وسائل له ومستغيث به، والداعي
لغير الله من ميت وغائب كذلك.

حقيقة الدعاء في القرآن:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ قَالَ رَبِّ
هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾
[آل عمران: ٣٨].

وقال تعالى عن زكريا أيضاً: ﴿إِذْ نَادَى
رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي
وَأَسْتَغْلَى الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾
[مريم: ٣ - ٥]، فالدعاء المذكور في آل عمران
سمّاه هنا نداء، وفسّر النداء في سورة مريم
بطلب الولد.

حقيقة الدعاء في السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
(إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت،
ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة، فإن الله لا
يتعاظمه شيء أعطاه) ^(١).

فسمى ما يطلبه العبد من ربه: دعاء ومسألة
ورغبة، وهو موافق لأقوال أئمة اللغة.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
(يستجاب لأحدكم ما لم يعجل)، قيل: وكيف
يَعَجَلُ يا رسول الله؟ قال: يقول: (قد دعوت الله
فلم يستجب الله لي) ^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة
والاستغفار، باب: العزم بالدعاء، ولا يقل: إن شئت
(٢٦٧٨).

(٢) «صحيح» أخرجه ابن ماجه في كتاب: الدعاء، باب:
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل (٣٨٥٣) من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: صحيح سنن ابن ماجه
(ص ٦٣٥) للعلامة الألباني رحمته الله.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم
إن شئت فأعطني، فإن الله لا مُستكره له) ^(١).

والأحاديث ومؤلفات العلماء وتراجمهم في
الدعاء شيء لا يأتي عليه العبد، بل عوام الناس
إذا ذكر لفظ الدعاء لا يتبادر إلى أذهانهم إلا هذه
الحقيقة، وهي النداء والسؤال والطلب.

وإذا تقررت وفهمت حقيقة الدعاء على ضوء
الكتاب والسنة واللغة العربية وواقع الناس، فالله
تعالى قد أمرنا بدعائه ونهانا عن دعاء غيره.

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ^(٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥ - ٥٦].

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الذكر والدعاء، باب العزم
بالدعاء ولا يقل: إن شئت (٢٦٧٩).

أمرنا الله بدعائه وعلمنا آداب الدعاء التي
يرجى من ورائها الإجابة وهي:

١- التضرع. ٢- الخفية. ٣- الخوف. ٤- الطمع.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فهنا ندب تبارك وتعالى عباده إلى دعائه وأخبر
أن المستكبرين عن دعائه مستكبرون عن عبادته؛
لأن الدعاء أهم أنواع العبادة وأعظمها، فالتارك
لدعائه استكباراً كافر سيدخل جهنم داخراً؛ أي
صاغراً، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي
وابن ماجه عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال:
(إن الدعاء هو العبادة)، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ^(١).

(١) «صحيح» أخرجه أحمد في مسنده في مواضع متعددة =

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
ومعنى الدعاء هو العبادة، كما قال العلماء؛
أي: جلّها ومعظمها، كقوله ﷺ: (الحج
عرفة)^(١)؛ أي: أعظم أركان الحج.
وكقوله ﷺ: (الدين النصيحة)^(٢)، ولا شك

= (١٧٦٢٩ - ١٧٦٦٠ - ١٧٦٦٥ - ١٧٧٠٥ - ١٧٧٠٩)؛
وأبو داود في، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء
(١٢٦٤)؛ والترمذي في كتاب: تفسير القرآن عن
رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة البقرة (٢٩٦٩)؛ وابن
ماجه في كتاب: الدعاء، باب فضل الدعاء (٣٨٢٨).
انظر: صحيح سنن ابن ماجه (ص ٦٣١) للألباني رحمه الله.

(١) «صحيح» أخرجه أحمد في مسنده (١٨٠٢٣)، وأبو
داود في كتاب: المناسك، باب: من لم يدرك عرفة
(١٩٤٩) والنسائي في كتاب: المناسك، باب: فرض
الوقوف بعرفة (٣٠١٦) وابن ماجه في كتاب:
المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة الجمع
(٣٠١٥). انظر: صحيح سنن ابن ماجه (ص ٥١١)
للألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم - وغيره - في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن =

أن الدعاء كذلك، ولذا تعبّدنا الله به في كل صلاة.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾
[الفاتحة: ٦ - ٧].

هذه لمحة عن أهمية الدعاء وإشارة خاطفة إلى بعض ما أمرنا به ربنا تعالى من دعائه وحده. أما دعاء غير الله فقد نهى الله تبارك وتعالى عنه أشد النهي، وحكم على فاعله بالضلال، وضرب فيه الأمثال وأبدى فيه وأعاد، وكيف لا يكون كذلك وهو أعلى أنواع العبادة، وقد قال رسول الله ﷺ: (الدعاء هو العبادة)^(١) بتعريف الجزأين وهو من طريق القصر المعروفة عند البلاغيين.

= الدين النصيحة (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .
ولمزيد من الفائدة انظر: الإرواء (٦٢/١) للعلامة الألباني رحمه الله .
(١) سبق تخريجه .

ولنشر الآن إلى قليل من كثير مما ورد في القرآن في هذا الموضوع، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٥٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ [يونس: ١٥٥ - ١٥٦].

والظلم هنا هو الشرك: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

فهذا نهى صريح للنبي ﷺ عن دعاء غير الله مهما علت منزلته وارتفعت درجته سواء كان نبياً مرسلأً أو ملكاً مقرباً، فهذا أكمل المخلوقات وسيد المرسلين والنبیین لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً، قال تعالى في سورة الأعراف أمراً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وإذا كان النبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا
ضرراً، فبديهي أنه لا يملك ذلك لغيره، وصرح بهذا
المعنى في آيات أخرى، قال الله آمراً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ
إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (النجن: ٢١).

﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٨).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقال ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤): (يا معشر قريش -
أو كلمة نحوها - اشترُوا أنفسكم لا أغني عنكم
من الله شيئاً).

يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً.
يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك
من الله شيئاً.

ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله
شيئاً.

ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما
شئت لا أغني عنك من الله شيئاً^(١).

فإذا كان أكمل الخلق ﷺ كذلك، فغيره أبعد
عن ذلك وأبعد، فهذه البيانات الواضحة
والتصريحات القوية التي تصدر عن أصدق القائلين
الهدف الأصيل منها أن يقطع المؤمن الصادق كل
أمل وكل رجاء من غير الله ويتجه بدعائه ورجائه
ورغباته وكل مطالبه إلى الله وحده مباشرة.

ولذا قال عقب هذه الآية التي تلونها عليكم
من سورة يونس: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٤) (٤٧٧١) ومسلم في كتاب:
الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٤) (٢٠٦) والترمذي في كتاب: الزهد
من حديث عائشة عن الرسول ﷺ، باب: ما جاء في
إنذار النبي ﷺ قومه (٢٣١٠) وفي كتاب: التفسير،
باب: ومن سورة الشعراء (٣١٨٢).

كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ
يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال في سورة الأنعام مستعملاً الأسلوب
نفسه: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال تعالى ضارباً مثلاً لحال من يدعو
غير الله: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الْهُدَىٰ أُنْتِنَا قُلْ إِن هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا
لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ [الأنعام: ٧١].

شبهت حال من يدعو غير الله بحال شخص
استولت عليه الشياطين فحرفته عن الجادة، فهو
تائه مضطرب الفكر والعقل ذاهب اللب يتخبط في
سيره لا يهتدي لجهة ولا يعرف مقصداً في الوقت

الذي يدعي فيه إلى خلاصه والطريق الذي فيه
نجاحه وفلاحه، فيمعن ويوغل في البعد عن طريق
الخلاص والنجاة حتى يلقي هلاكه ومصيره
المشئوم.

وقال ضارباً مثلاً لخيبة الأمل التي يُمنى بها
من يدعو غير الله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ
فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝﴾ [الرعد: ١٤].

فهل يستجيب ماء بثر في الدنيا لمن وقف
على حافتها يمد كفيه ويبسطهما إليه، ولو كان
ملتهب الأحشاء محترق الفؤاد من الظمأ؟

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ
شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

وهذا تصوير صحيح لواقع كل مدعو من دون الله، وأن من في السموات والأرض لو اجتمعوا لخلق ذرة فضلاً عن ذباب لا يستطيعون، ولوقفوا عاجزين، وهذا غاية الغايات في العجز، فإذا كان هذا حال المدعوين فلماذا لا يثوب الداعون لهم إلى رشدهم؟

ولذا قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤) [الحج: ٧٤]، فهو قادر على كل شيء، غالب على كل شيء، إنما أمره إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون، والواقع أن الذين يستجيزون لأنفسهم دعاء غير الله لا يشعرون أن هذا النداء في هذه الآية موجه إليهم، وأن هذا المثل فيها مضروب لهم، ومن جراء فقدان هذا الشعور والإحساس لم يرهفوا أسماعهم لهذا المثل الذي قال الله فيه: ﴿فَاسْتَمِعُوا لِلَّهِ﴾ وإلا لكان لهم منه أكبر زاجر وأقوى رادع ولفتحوا أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم للإيمان بقدرة الله العظيمة التي

يصغر أمامها كل شيء، فاتجهوا إليه وحده
ضارعين وداعين.

وقال تعالى مبيناً غناه المطلق وفقر من عداه
المطلق، وأن المدعوين من دون الله جميعاً صفر
اليدين مما يتعلق به المشركون بهم الداعون لهم
من دون الله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا
يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا
لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ
الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبا: ٢٢ - ٢٣].

فهذه الآية فيها تحطيم لكل أمل يتعلق به
المشركون، فالمدعوون من دون الله مع الأسف
لا يملكون من هذا الملك الواسع والكون الكبير
السماوات والأرض مثقال ذرة لا على سبيل
الاستقلال ولا على سبيل المشاركة، والله غني
عنهم غنى مطلقاً، فليس به حاجة إلى مظاهرتهم
ومعاونتهم فلم يبق إلا الشفاعة، وهي أيضاً لا
يملكها إلا هو سبحانه وهي متوقفة على إذنه،

على أنه لا حظ فيها لهؤلاء المشركين الداعين
لغير الله، وإنما هي للموحدين، فماذا استفاد
المشركون؟

النار وبئس القرار، ولا كرامة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِ
يَكْتُبُ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُكْفَرُ مِنْ عِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ
﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٤، ٦].

فالله تبارك وتعالى يأمر رسوله ﷺ بأن
يتحدى المشركين بأن يشيروا إلى أي نقطة من
السموات والأرض قد خلقها آلهتهم ولو مجتمعة،
أو أي جزئية شاركوا فيها في الخلق والتصرف وهم
لا يمكن أن يدعوا ذلك، فهم معترفون بأن الله
وحده المنفرد بخلق الكون والتصرف في شؤونه.

فإن توقع متوقع منهم فليأت بالبرهان الواضح، ولا يمكنه ذلك لا من طريق النقل ولا من طريق العقل، وبعد عجزهم الفاضح أمام هذه التحديات، فما حكمهم إن أصروا على دعاء غير الله؟

حكمهم أنهم أضل خلق الله، إنهم غارقون في ضلال بعيد؛ لأنهم يدعون من لا يملك شيئاً في السماوات والأرض لا لنفسه ولا لغيره، وقد عجزوا وأفحموا عن إقامة البرهان على شيء من ذلك، وهم مع ذلك لا يستجيبون لهم ولو بحت أصواتهم وانقطعت حناجرهم من النداء والهتاف ولو استمروا فيهما إلى يوم القيامة.

والنتيجة المرة أنهم يوم القيامة يبارزونهم ويصارحونهم بالعداء الشديد: ﴿وَكَاُنُوا بِعِبَادَتِهِمْ كُفْرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦]، إنها لنهاية أليمة ومصير مشئوم، وهذا الذي أشرنا إليه قليل من كثير مما يزخر به القرآن من محاربة هذا الاتجاه المخزي، فمن أراد

أن يعرف الحقيقة فليُط عن وجهه حجاب
التعصب الأعمى، وليقرأ القرآن ملاحظاً ما أشرنا
إليه، فسيجد الأمر أوضح وأقوى.



المسألة الثانية



وهي ادعاؤهم وزعمهم أن رسول الله ﷺ
وكثيراً من الصالحين يعلمون الغيب

وقبل الخوض في هذه المسألة نبداً بمقدمة
ينكشف بها أن المزاعم الباطلة والافتراءات الكاذبة
لا ترفع شيئاً من منزلة رسول الله ﷺ، وليس من
تعظيمه وتوقيره في شيء، بل ذلك عدوان على
منصبه ومنازمة لشرعه ورسالته.

إن المؤمن الحق يعتقد أن رسول الله ﷺ
أكرم البشر وسيد الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة
والسلام - وأنه يجب تعظيمه وتوقيره، وتعظيم
واحترام ما جاء به من قرآن وسنة، وأنه الحق الذي
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد.

وهنا نتساءل ما هو البرهان الصحيح العملي
الذي يقيمه المؤمن على هذا الحب والتعظيم
والتوقير؟

والجواب السديد أن يكون:

بطاعته والتفاني فيها واتباع ما جاء به بحيث
لا يزاحمه في هذه الطاعة، وهذا الاتباع الصادق
أحد كائناً من كان، جاعلاً المؤمن نصب عينيه:
﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
[الحشر: ٧].

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾
[آل عمران: ٣١].

ويكون ذلك بحبه الصحيح الذي يفوق حب
النفس والوالد والولد والمال والناس أجمعين: (لا
يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده
والناس أجمعين)^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: حب =

ويكون ذلك بموافقته في كل أمره، فما أحبه رسول الله يحبه وما أبغضه يبغضه.

ويكون ذلك أيضاً بتصديقه في كل ما أخبر به تصديقاً وإيماناً لا يرقى إليه أدنى شك ولا ريب، واتخاذ أخباره قضايا مسلمة لا تقاس ولا توزن بكلام أحد؛ بل أقواله وأفعاله وأخباره وتشريعاته هي الميزان الصحيح الحق لأقوال الناس وأعمالهم، فما وافقه فهو الحق وما خالفه فهو الباطل سواء كان في مجال الاعتقاد أو التشريع أو الأخلاق أو السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو غيرها من شؤون الحياة الدنيا أو الدين.

أما الغلو فيه وإطراؤه مع الاستخفاف بأوامره ونواهيه وتشريعاته وتعاليمه وبغض ما يحبه وحب

= الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)؛ ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (٤٤).

ما يبغضه وتقديم طاعة الناس والأهواء على طاعته
والحيدة والروغان عند أخباره، فهذا في الواقع هو
العداء السافر أو المقتنع، فما قيمة تعظيم مزعوم لا
ينقاد صاحبه ولا يسلس له قياد إلا فيما يوافق هواه
وما يتبعه من مذاهب وتقاليد وعادات، ما قيمة
تعظيم أشبه بصراع عنيف مع تعاليمه ومصادمة لا
تقف عند حد، فإذا قال: افعلوا هذا، قيل: سمعنا
وعصينا. وإذا قال: اتركوا ذلك، قيل: لا بد من
فعله، وإذا أخبر عن أمر أنه كذا وكذا، قيل: لا
بد من وزن هذا الكلام وعرضه على آراء الناس،
فإذا قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى
عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا: عبد الله
ورسوله)^(١)، قيل: ليس لنا بد من إطرائك والغلو
فيك. وإذا قال الله لرسوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي

(١) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب:
قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ
أَهْلِهَا﴾ (٣٤٤٥).

نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ
لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]
لا يرفع أناس بهذا النصّ رأساً ولم يقيموا له وزناً
ولم يعيروه أي اهتمام، بل قالوا:

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ونضرب مثلاً يتضح به الحب الصحيح من
الكاذب: هناك زعيم مخلص متفانٍ فيما ينفع أتباعه
صادق اللهجة لم يجرب عليه كذب له أتباع، فريق
منهم سهل الانقياد سريع الاستجابة لا يتلكأ ولا
يتلعثم عند أمر أو نهى، لا يأمره ذلك الزعيم بأمر
إلا بادر وسارع إلى تنفيذه، ولا ينهاه عن شيء إلا
كان أشد الناس ابتعاداً عنه، ولا يخبره بخبر إلا
أصاب موضع اليقين من قلبه، ولا يفعل فعلاً إلا
تأسى به ورأى أنه القدوة الحسنة.

وفريق آخر يمتاز بالمبالغة والتهويل في
تمجيد ذلك الرئيس، رغم أنه يكره هذه المبالغات

وهذا الغلو أشد الكراهية، عرف ذلك من أقواله وأفعاله المتواترة وتصريحاته القوية وتعليماته.

ومبادئه قائمة على أساس محاربة هذا اللون من الانحراف والإتيان عليه من القواعد، ورغم كل ذلك يصر هذا الفريق على موقفه ويمعن فيه، غير أنه بجانب هذا الغلو يمتاز بأسلوب آخر، وهو أن أوامر هذا الرئيس وزواجره وتوجيهاته لا يدعن لها هذا الفريق ويروغ عنها روغان الثعلب، فإذا قال: افعلوا هذا الأمر واتركوا ذاك، والأمر الفلاني واقع كذا، قالوا: والله يا سيادة الرئيس أمرك هذا لا يوافق مزاجنا وليس عندنا نشاط ولا استعداد لتنفيذه، ويمكن إن نفذناه أن نواجه مشاكل لأنه لا يتفق مع رأي فلان ولا يناسب مزاج علان، ونهيك ندخله في خبر كان، وخبرك فيه سطحية وسذاجة لا بد له من ميزان.

وعلى كل حال أحسن رأي عندنا أننا نمدحك ونطريك، ولو كان الغلو والإطراء أبغض

شيء إليك، ثم ضربوا بتعليماته السديدة وتوجيهاته
الرشيده غرض الحائط فخالفوا أوامره ونواهيه،
وحرّفوا أخباره وتأوّلوها كما أملت عليهم
أهواؤهم، ولم يقفوا عند هذا الحد بل صبوا جام
غضبهم على الفريق الطائع المنقاد وأوسعوهم لوماً
وتجريحاً واحتقاراً وسخرية ووجهوا إليهم الشتائم
والمطاعن ورموهم بالدواهي من المفتريات، فأى
الفريقين أحق بذلك الزعيم وأقربهم إليه وأحبهم
لديه، لا يخفى ذلك على المنصف العاقل.

ولنشرع الآن في بيان هذا الموضوع على
ضوء الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وواقعهم،
قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي تُمْلُتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩) [الأنعام: ٥٩].

ومعنى الآية واضح كل الوضوح أن علم
الغيب أمر مختص بالله جملةً وتفصيلاً، وأن هذا

أمر استأثر الله به لا يشركه فيه غيره، كاختصاصه واستثثاره بالربوبية والألوهية وغيرها من صفاته العليا التي انفرد بها واستأثر بها وحده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۚ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ [آل عمران: ٥ - ٦].

وهذا أمر امتاز به وحده كما امتاز بتصويرنا في الأرحام كما يشاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۖ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۖ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝﴾ [المائدة: ١١٦].

وهذا تصريح واضح من نبي كريم من أولي العزم بحقيقة ناصعة يوافقه عليها كل نبي ورسول اختاره الله وكل مؤمن هداه الله.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يعلن هذه الحقائق الساطعة، فليس عنده خزائن الله ولا يعلم الغيب ولا يقول أنه ملك، ولا يخرج عن الطريق الواضح الذي رسمه الله له وهو اتباع الوحي، فلا تخفى هذه الأمور الواضحة إلا على من أعمى الله قلبه وطمس بصيرته من المكذبين المعارضين أو من الغلاة المبالغين.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠].

وهذا أمر من الله لنبيه أن يعلن هذه الحقيقة أنه لا يعلم الغيب إنما الغيب لله وحده، وقد بلغ رسول الله كما أمره الله ونحن على ذلك من

الشاهدين ومن المؤمنين المصدقين لا نمتری فی
هذه الأخبار الصادقة ولا نشك فیها ولا نحرفها
ولا نؤولها.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ
وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
بِمِقْدَارٍ ۝ (٨) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ
۝ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ
مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝ (١٠)﴾ [الرعد: ٨ - ١٠].

وهذه الإحاطة والشمول لا تنبغي إلا لجلاله
الكبير المتعال.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
الْغَفُورُ ۝ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي
السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ (٣)﴾ [سبأ: ٢ - ٣].

هذه الآيات التي تلونها وأضعافها في القرآن

الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تدور على حقيقة واحدة بشتى الأساليب من عموم وشمول وإحاطة وإجمال وتفصيل واستقصاء واستيعاب وقصر وتأکید مما لا يدع بعض هذه النصوص فضلاً عن جميعها أدنى شك في أن الله وحده هو المنفرد بهذا الكمال وأن ادعاء علم الغيب لأحد غير الله، سواء رسول الله أو غيره، تكذيب وقح لله ولرسوله ولكتابه شاء ذلك أو أباه.

ولنضف إلى ما سبق نصوصاً أخرى تخص رسول الله بالذات بنفي علم الغيب عنه زيادة في إقامة الحجة.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرَثُ مِنْ

الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقد سبقت الإشارة إلى معاني هاتين الآيتين،
إلا أننا نلفت النظر هنا إلى أنه يجب أن نفهم أن
رسول الله ﷺ وجميع الرسل - عليهم الصلاة
والسلام - مع أنه يوحى إليهم لا يجوز أن يعتقد فيهم
أنهم يعلمون الغيب، بدليل أنه جمع في آية واحدة
بين نفي علم الغيب عنه وإثبات الوحي له، إذاً فعلم
الغيب شيء وكونهم يوحى إليهم شيء آخر، ولو جاز
أن يعتقد فيهم ذلك لجاز الاعتقاد ونفسه في كل من
بلغوه ذلك الوحي، وهو في غاية البطلان والضلال.

وقال تعالى معاتباً نبيه ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ
لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ [التوبة: ٤٣].

فسبب هذا العتاب أن بعض الأشخاص
استأذنوه ﷺ في القعود عن الجهاد وقدموا إليه
معاذير غير صحيحة ولا واقعة، فأذن لهم بناء على

تلك الأعذار التي قدموها ويحتمل عنده صحتها
وواقعيتها غير عالم أن الله سيعاتبه في هذا الأمر وإلا
لما أقدم عليه، وهو أحرص الناس على مرضاة ربه.

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
مُتَنَفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

فهؤلاء المنافقون من سكان المدينة ومن
حولها والمنافقون من أهل المدينة بالذات، قد
مهرؤا في النفاق لكثرة ممارستهم له حتى أتقنوه،
وهم ولا شك يشكلون خطراً على رسالته وأصحابه
ومع ممارستهم إياه مدة طويلة، وفي قلب المدينة
إلى تسع سنين، ورسول الله ﷺ لا يعلمهم كما
قال تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا
أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنَّا أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩].

﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الجن: ٢٥].

ففي هذه النصوص ما يشفي المؤمن ويقنعه أن علم الغيب مختص بالله وحده، وأن رسول الله ﷺ لا يدعي ذلك، وإذا كان كذلك فغير رسول الله ﷺ أولى وأولى.

ولنتقل إلى رحاب السنة المطهرة:

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار)^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: موعظة الإمام للخصوم، حديث رقم (٧١٦٩) ومسلم في كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١٧١٣).

فالحديث صريح أن الرسول ﷺ بشر والبشر وغيرهم من المخلوقات لا يعلمون الغيب، وإنما ذلك لله وحده، ورسول الله يخشى أن يقلب بعض الناس للسنهم وفصاحتهم الحق باطلاً والباطل حقاً، فيقضي رسول الله بنحو ما يسمع: لأن بواطن الأمور وسرائر النفوس وخفاياها لا يعلمها إلا الله.

وروى الإمام مسلم^(١) عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها قالت: يا أبا عائشة ثلاث من تحدث بواحدة منهن، فقد أعظم على الله الفرية.

قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُنْفُسِ الْيُسُفَى﴾ [التكوير: ٢٣].

(١) في كتاب: الإيمان، باب: معنى قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٢) وهل رآه؟ (١٧٧).

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين؛ رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض) فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن محمداً كتم شيئاً من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن زعم أنه يخبر بما في غد فقد أعظم على الله الفرية.

فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي أعلم الناس
برسول الله ﷺ ترى أن نسبة واحدة من هذه الثلاث
إلى رسول الله ﷺ من أعظم الافتراءات على الله،
ولنلاحظ كيف استدلت على عدم إمكان رؤيته لربه
بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا
وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا
يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾﴾ الآية [الشورى: ٥١].

لأنها ترى وتعلم أن رسول الله ﷺ بشر
تنطبق عليه الآية كما تنطبق على غيره من الرسل
الكرام؛ لأن الجميع مشتركون في هذا الوصف
وهو البشرية، وهذا الذي أنكرته عائشة إنما هو
الرؤية في الدنيا، وأما رؤية الله في الآخرة فهي
ثابتة للمؤمنين بالكتاب والسنة، فلا تنكرها
عائشة رضي الله عنها.

واستدلت على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب
بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ
إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وهو استدلال في موضعه، وهو عين الحق والصواب الذي لا تشك فيه عائشة ولا غيرها من الصحابة الكرام وجميع المؤمنين، ومن زعم أنه ﷺ يعلم الغيب فقد أعظم على الله الفرية كما قالت ﷺ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ: «أصبح يوماً واجماً»؛ أي حزينا كئيباً. فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ: (إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني، أما والله ما أخلفني).

قال: فظلّ رسول الله يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل، فقال: (لقد كنت وعدتني أن تلقاني، قال: أجل ولكننا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة) رواه مسلم^(١).

(١) في كتاب: اللباس، باب: لا تدخل الملائكة بيتاً =

فجبريل وعد النبي ﷺ أن يأتيه في الليل وطبعاً بات رسول الله ﷺ ينتظره فلم يأت، لذا أصبح رسول الله ﷺ واجماً ولا يعلم لذلك سبباً، ولو علم أن السبب هو الجرو لبادر إلى إخراجه فوراً، ثم استمرّ رسول الله ﷺ على تلك الحالة من الكآبة والحزن يفكر في الأمور التي قد تكون سبباً في تأخر جبريل، فوقع في نفسه جرو كلب فأمر به فأخرج كما قالت ميمونة.

ثم سأل جبريل عن سبب تأخره؛ لأنه لم يستيقن إلى وقت سؤاله السبب الحقيقي، وفي رواية لمسلم^(١) عن عائشة يحتمل أن تكون هي هذه الحادثة ويحتمل أن تكون حادثة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة متى دخل هذا الكلب هنا؟)، فقالت: والله ما دريت.

= فيه كلب ولا صورة (٢١٠٥).

(١) رقم (٢١٠٤).

فهذه الحادثة وأمثالها كثيراً مما يدور في بيته وهو لا يعلمه فيسأل عنه أهله. فقد تنفذ نفقة أهله فلا يعلم بها فيأتيه الضيف فيرسل إلى أهله واحدة واحدة، فيقلن: والله ما عندنا غير الماء. كما روى مسلم^(١).

فلماذا يخرج أهله بالسؤال وهو خير الناس لأهله وأفضلهم معاشرة؟ ما ذلك إلا أنه لا يعلم الغيب.

ولما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق استأجر أجيراً يدلهم على الطريق، ومن يعلم الغيب لا يلجأ إلى ذلك. وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك...^(٢).

(١) في كتاب: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره (٢٠٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: السُّم (٢١٩٠).

فإذا خفي عليه شيء كهذا وأمثاله وإذا مسّه مرض أو أذى لا نقول: لماذا؟ لأننا نعلم أنه بشر رسول، وسنة الله في البشر أنهم مبتلون، وأشدّهم بلاء الرسل، ثم الأمثل فالأمثل، كما قال هو ﷺ.

وروى مسلم^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتى بضرب محنوذ فأهوى إليه ﷺ بيده، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة: أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل، فرفع رسول الله يده..

وفي رواية أخرى في مسلم: «وكان قلماً يقدم إليه طعام حتى يُحَدَّثَ به ويسمى له، فأهوى رسول الله ﷺ بيده إلى الضرب، فقالت امرأة من النسوة الحضور: أخبرن رسول الله ﷺ بما قدمتن له، قلن: هو الضرب، فرفع رسول الله ﷺ يده»^(٢).

(١)(٢) في كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة الضرب (١٩٤٥ - ١٩٤٦).

والعبرة من الحديث:

أن رسول الله كان يكره الضب، كما صرح بذلك غير مرة، وفي هذه المناسبة أهوى بيده لياكل منه؛ لأنه لا يعلم أنه الضب ولما أخبر رفع يده.

اعتقاد أصحابه وأهل بيته أنه لا يعلم الغيب، ولهذا كان قلما يقدم إليه طعام حتى يحدث به ويخبر ويسمى له.

قول المرأة: أخبرن رسول الله ﷺ بما قدمتن له. والمخاطب بهذا أهل بيت النبي ﷺ، ويمكن أن يكون عندهن غيرهن نساء آخر، وفي القوم خالد بن الوليد وابن عباس ولم ينكر هذا أحد منهم، لأنه مستقر عندهم أنه لا يعلم الغيب، وحاشاهم أن يكونوا غلاة.

ورسول الله ﷺ الذي لا يقر على باطل يسمع هذا كل يوم ولم يقل لهم: لا حاجة بي إلى أن تخبروني لأنني أعلم الغيب، والله تبارك وتعالى قد أمر رسوله بأن يستشير أصحابه فقال:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكان يستشيرهم وأحياناً يميل إلى رأي يكون الصواب في غيره كما في قصة أسرى بدر، حيث هوى رسول الله ﷺ رأي أبي بكر ولم يأخذ برأي عمر فأنزل عليه: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُتَخَيَّرَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

فجاء عمر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة)^(١).

والشاهد منه أن الصحابة كانوا يدلون بآرائهم

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (١٧٦٣).

إذا استشارهم، ولا يقولون: لا حاجة إلى رأينا
لأنك تعلم الغيب.

ولننقل كلاماً يتمشى مع ما اقتضاه الكتاب
والسنة وما كان عليه السلف الصالح:

قال ابن الهمام في المسامرة في العقائد
(ص ٢٠٢): وذكر الحنفية تصريحاً بالتكفير باعتقاد
أن النبي ﷺ يعلم الغيب لمعارضته قوله تعالى:
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾
[النمل: ٦٥]. هذا الكلام في الكتاب المذكور
خاتمة الفصل التاسع.



المسألة الثالثة



هل الرسول ليس من البشر؟

وبقيت ثلاثة الأثافي، وهي من أغرب الغرائب وأعجبها قولهم: إن رسول الله ليس بشراً، وتضليل من يقول: إنه بشر.

وليس يصح في الأذهان شيء

إذا احتاج النهار إلى دليل

فنحن إذن مضطرون إلى أن نسوق الأدلة على بشرية الرسول ﷺ.

أسفين أشد الأسف على من ينتسب إلى الإسلام ويؤمن بالقرآن والسنة ويصل في الانحطاط الفكري والضلal العقائدي إلى هذا المستوى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَزُكِّيهِمْ

وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالآية تنص على أن رسول الله من أنفس المؤمنين، قال المفسرون: إن المراد بقوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ إنه من العرب، وقال آخرون: إن المراد أنه من البشر، ووجه المنة على التفسير الأول أنهم يفقهون عنه ويفهمون ولا يحتاجون إلى ترجمان. وعلى التفسير الثاني أنهم يأنسون به بجامع البشرية.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والشاهد من الآية: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وتفسيره كالأول، و«من» في الموضعين للتبعيض فهو بعض من البشر.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والأُمِّيُّونَ: هم العرب، وقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي من الأُمِّيِّين العرب، و(من) تبعيضية، فهو من بعض العرب وواحد منهم، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم النبي العربي الأُمِّي الهاشمي من أشرف العرب وأكرمهم مَحْتَدًا. ولو كان من عنصر آخر لذكره الله في هذه المقامات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، وعشيرة الرجل قبيلته وبنو أبيه الأدنون، ولما نزلت عليه هذه الآية صعد على الصفا ونادى: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب اشتر نفسك من الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله

شيئاً^(١)، وهكذا فهم رسول الله أن عشيرته الأقربين
وبني أبيه هم هؤلاء الذين صدع فيهم بهذا الأمر.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ
تُسْأَلُونَ﴾ (٤٤) [الزخرف: ٤٤]. وقومه هم العرب الأميون
بالكتاب والسنة وإجماع كل الأمم العرب والعجم.

إثبات بشرية الرسول من السنة:

وقبل أن نسوق الأدلة من السنة نذكر
نسبه ﷺ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن
نزار بن معد بن عدنان.

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوصايا باب: هل يدخل
النساء والولد في الأقارب (٢٧٥٣) ومسلم في
كتاب: الإيمان باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٠٦).

فمن يزعم أنه ﷺ ليس بشراً، فماذا يقول في هذا النسب، ولماذا جاء عن طريق هؤلاء؟ فهل هؤلاء أيضاً غير بشر؟

روى مسلم^(١) رحمه الله عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

فهذه الفرق والقبائل والبيوت كلها من البشر، ولو كان رسول الله من عنصر آخر لذكره في هذه المناسبات.

وإنا لنأسف إذ نستنبط أموراً بديهية هي من باب تحصيل الحاصل، ولكن ماذا نصنع وقد وجد في الناس من يتلقف أفكاراً مسمومة هدامة تدس

(١) في كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب الرسول ﷺ وتسلم الحجر قبل النبوة (٢٢٧٦).

على المسلمين الهدف منها هدم الإسلام واقتلاع
قواعد التوحيد من الأساس، يتلقفونها ثم لا تلبث
أن تتحول عندهم إلى عقائد راسخة من أعظم
أركان الدين، فيوالون ويعادون من أجلها،
ويحرفون نصوص القرآن والسنة من أجلها مهما
بلغت من الكثرة والوضوح.

وعندما رسخت في نفوسهم هذه الأفكار
المدسوسة شوّهت نظرهم الصحيح، فأصبحوا
ينظرون إلى البشرية من الزاوية التي نظر منها
المشركون، يحتقرون البشرية ويرون استحالة
اجتماع البشرية والرسالة، وأن الإنسان لا يمكن
أن يرتفع إلى مستوى يؤهله لتلقي الوحي من الله.

قال تعالى حكاية لموقفهم: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَّسُولًا ۖ﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾
[إبراهيم: ١٠].

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [ابراهيم: ١١].
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ
يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

وهؤلاء نظروا من نفس الزاوية إلى البشرية
واحتقروها، فعز عليهم أن يكون رسول الله بشراً
وتلقفوا أسطورة من نسج خيال أعداء الإسلام أن
رسول الله خلق من نور، وهذه الدسيسة تشبه إلى
مدى بعيد دسيسة اليهود على النصارى، واليهود
أعدى أعداء عيسى عليه السلام، فدسوا على أتباعه أنه
ابن الله، وأنه هو الله لقصد إضلالهم.

ولا يبعد أن تكون فكرة أن رسول الله ليس
بشراً: وإنما هو من نور، دسيسة من دسائس
اليهود، والقصد إضلال المسلمين، ونحن بحمد الله
معشر المؤمنين نرى الإنسان البشر المؤمن العادي
أفضل من جميع الأنوار التي خلقها الله، فكيف
برسول الله الذي هو أفضل الخلق أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وكل ما في السماوات والأرض سخره الله لهذا الإنسان البشر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

فأنوار الكواكب والشمس والقمر والكهرباء كلها مسخرة لهذا البشر الكريم، فالذي يجرد رسول الله من بشريته فقد احتقره من حيث يزعم أنه يكرمه ويجله، ثم هذه الأسطورة لا تستطيع أن تثبت أمام نص واحد من القرآن، وقد تقدمت لكم النصوص التي تلونها على مسامعكم، ونضيف إليها الآن ما لا يدع مجالاً للشك في الإيمان ببشرية رسول الله المثلّى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]،
 فقد أكد بشريته بأقوى أنواع التأكيد، فإن القصر من
 أسباب التأكيد عند البلاغيين، ثم زاد ذلك تأكيداً
 بقوله: ﴿مِثْلُكُمْ﴾ أي مثلنا في الخلق والتكوين،
 له جسم مكون من لحم وعظام وعصب، وله شعر
 وعينان، ويدان يبطش بهما ورجلان يمشي بهما،
 ويأكل كما نأكل ويشرب كما نشرب، ويجوع
 ويمرض، وقد تولد بين أبوين هما عبد الله بن
 عبد المطلب وآمنة بنت وهب.

وقد تزوج كثيراً من النساء وأنجب أولاداً
 كما يتزوج البشر وينجبون، ثم أشار في الآية إلى
 الميزة التي امتاز بها ﷺ وهي الوحي، فقال:
 ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾، وهذا هو
 المضمار الذي لا يباريه فيه أحد، والقمة الشاهقة
 التي بلغها هذا النبي العربي الكريم.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا
 الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩)

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾
 أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعِنَبٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ
 خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
 كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ
 بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفٌ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى
 تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا
 بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ [الإسراء: ٨٩ - ٩٣].

فأنتم ترون أن الكفار قد بلغ بهم التعنت
 أقصى مدى، فطلبوا من رسول الله ما لا يدخل
 تحت قدرة البشر ولا غيرهم من الخلق ولا يقدر
 عليه إلا الله، فلذا أمر الله نبيه أن ينزله بالتسبيح
 فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، ثم بين حقيقة نفسه وواقع
 أمره بكل صراحة ووضوح، فقال: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا
 بَشَرًا رَسُولًا﴾، وصفان ظاهران أولهما (بشر) وثانيهما
 (رسول) بأقوى طرق القصر والتأكيد.

والقصر هنا حقيقي بمعنى أنه لا يتجاوز
 البشرية والرسالة إلى غيرهما، فالبشرية تستلزم كل

خصائص البشرية والرسالة تستلزم كل مقومات
الرسالة وخصائصها.

وقال تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ
﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ﴿٢﴾ الآية [يونس: ١ - ٢]،
وقال تعالى في سورة (ص): ﴿وَعِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ
مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ
إِلَهُهَا وَحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ ﴿٥﴾ [ص: ٤ - ٥]،
فقال رجل منهم، وقال منذر منهم: فبأي حديث
بعد الله وآياته نؤمن.

وإليكم الآن أقواله الصادقة الواضحة الصريحة الصحيحة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ
الظهر خمساً، فلما سلم قيل له: يا رسول الله
أحدث في الصلاة شيء؟ قال: (وما ذاك؟)، قالوا:
صليت كذا وكذا، فثنى رجله واستقبل القبلة وسجد
سجدتين ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه قال: (إنه

لو حدث في الصلاة شيء لبأتكم به، ولكن إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني) رواه البخاري^(١)، وانظر: فتح الباري (١/٥٠٣).

وهذا موافق للآيات الكريمة من ناحية القصر والتأكيد وذكر المماثلة في البشرية، وزاد أمراً آخر من لوازم الطبيعة البشرية فقال: (أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني).

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار)، رواه البخاري ومسلم^(٢).

وهذا الحديث يوافق الآيات والحديث

(١) في كتاب الصلاة: باب: التوجه نحو القبلة حيث كان (٤٠١).

(٢) سبق تخريجه.

السابق في استخدام الطريق نفسه والأسلوب عينه، وفيه بالإضافة إلى إثبات بشريته نفي علم الغيب عنه، وقد تقدم لنا في بحث المسألة الثانية أن عائشة رضي الله عنها استدلت على أن رسول الله ﷺ لم ير ربه بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]. رواه مسلم ^(١).

وعائشة رضي الله عنها أعلم الناس به ولو كان رسول الله غير بشر لقال لها: أنا لست بشراً، ولأخبرتنا بذلك، ولكننا نراها تحتج على عدم رؤيته لربه ببشريته، وأن الآية تنطبق عليه، والصحابة الكرام كانوا يعلمون أنه بشر وهو يؤكد لهم هذه الحقيقة، وهم قد بلغوها إلى التابعين ومن بعدهم، يتداولون هذه الحقيقة مؤمنين بها من أعماق القلوب كإيمانهم برسالته.

(١) سبق تخريجه.

وهكذا نقف على هذه الحقائق الثلاث
واضحة جلية على ضوء الكتاب والسنة تولى الله
بيانها على أبلغ وجوه البيان بشتى الطرق، كما
بيَّنَها رسول الله ﷺ كذلك، وليس بعد الحق إلا
الضلال، وما بعد بيان الله ورسول الله بيان، فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والمرجع إلى الله
وحده، وهو سبحانه سيكافئ ويجازي كل امرئ
بما يعتقد وبما يعمل.

والله نسأل أن يثبتنا على الحق والتمسك
بالكتاب والسنة، ويتوفانا على ذلك إنه سميع
الدعاء.

وصلّى الله على عبده ورسوله وعلى آله
وصحبه وسلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
المسألة الأولى: دعاء غير الله	١٥
المسألة الثانية: ادعائهم أن رسول الله ﷺ	
وكثيراً من الصالحين يعلمون الغيب	٣٢
المسألة الثالثة: هل الرسول ليس من البشر؟	٥٦

أضواء إسلامية

علي

بعض الأفكار الخاطئة

التوزيع في جميع أنحاء العالم

دار الإمام البخاري للنشر والتوزيع

٦ شارع عزيز فافوس، مكتبة التحرير، جسر السويس - القاهرة

هاتف: ٠٢/٢٤١٤٢٤٨٠ • فاكس: ٠٢/٦٣٦٥٦٣٨ • جوال: ٠٢/٠١٠٦٠١٤٩١٧٨

دار الإمام البخاري

دار الإمام البخاري